محمد رضـا الكـافي

شـذرات الخريـف

(1)

ما بين البرق وسيتمبَـرْ
ينهـضُ القصيـدْ ـــ
نداءُ الكائِـنِ للكائِـنْ،
ويسـألْ :
حشرجةُ آهةِ تمـوتْ
أم
إنشـادُ شعـبٍ يتقـدَّمْ ؟

ما بينَ البرق وسبتمبـرْ
يتَّحـدُ القصيـدْ ـــ
فعلُ الكائِـنِ في الكائِـنْ،
بصوتِـهِ
ويـرقَـى...

(2)

مدينة كغمامـة
كليل لا مجـيء
كحجـرْ

(أتوغّل في الليـه
وفي الرطوبـة)

مدينةٌ حُـمّاء
رغبـةٌ ميّتـة
وحيـادْ

(أتهجّـى أسماء العشيرة
أجوسُ أجـوسْ)

مدينة حشـــد
وحشـــد
ومـــوت

(ينبت البرق في يـــدي
أنطـــق بالســـرّ)

مدينـــة هبـــاء

أُفـــرِدُ
أعْـــتَـــزِلُ
أرافق نفسي إلى نفســـي
أصير مـــاء...)

(3)

الشِّعرُ صدَى صوتِ الانسانِ في الجسدِ
في المَـــدى
وفي الحجـــارَة،

الشعـــرُ أبـــداً لا يُغَنّـــي

(4)

يكذبُ من يراني فيقولُ : هُوَ،
أنا الآخرُ بإصـــرارْ
كلُّ شيءٍ يكادُ يُشبِهُني
(خريف حصَى بنفسجٌ مثلّثٌ
جويسٌ ضوءٌ أفيانوسٌ ثلاجةٌ
كلبٌ فسيفساءٌ بابانْ...)
لكنّني لا أشبهُ غيرَ نفسي،
ونفسي غيرُ نفسي.

أنا الحُواءُ والدلالَـــة
أكتبُ الشعرَ كمن يبدعُ قصراً من الزجاجْ
وأمضي في الجنـــونِ
وفي الوحُـــش.

يكذِبُ من يراني فيقولُ : هُوَ،
أنا الآخرُ الآخرُ الآخـرْ
حتّى انبجاس الدم.

(5)
لا أكتبُ الشعـرَ
فقط أتوجَّسُ همسَ الاشياء البسيطة،
صـوتَ الكائـنِ،
القصيـدة.

(6)
أيُّ لـونٍ هـذي البـلادْ ؟
تدفُـنُ أسرارَهـا في التراب
وتنخـرطُ في البكـاء.

(7)
هذا التَّشابُـهُ الفَارِغُ
بينَ التراب والترابْ،
هذا التحَشُّبُ العُقْـلُ،
هذا المَيِّـتُ...

(8)
لو مدينـةٌ واحـدةٌ
وسيعـةٌ كحُلْمِـي،
لو برتقالَـةٌ
دونَ خـريـف
لو قطـر
في المـدى

(9)
أنا اليومَ رمـادْ.

(10)
بلادُ الحجرِ، موضعُ السؤالْ :
ألا ينتهي العـدُّ
وتتوحَّـدُ الأرضُ بأفعالِنـا ؟

بلاد العجر، موطن السّـؤالْ :
ديناصـــورٌ أسطـــوريّ
برتقالـــةٌ
أم جـــرحٌ يتكلّـــسْ ؟

بلاد العجر، موطـــن السّـــؤالْ :
هل يرقى الضـــوءُ إلـــى
عتماتِنَـــا الآسِنَـــة ؟

بلاد العجر، موطن السّـــؤالْ :
لماذا الابيـــضُ
والأزرقُ
وهذا الخريـــفْ ؟

بـــلاد العجـ...

(11)
أنـا الغامـض
أسمّي المساءات كلّها / مقالعَ الحجر / غيمةَ الخريف المسافرة / معدنَ الانسان / أروقةَ المدنِ النائمة / رَفيفَ الريح في النوافذ / لَفْحَ الكسوفِ الأصفرِ الأغبرْ / مراتبَ اللغـــة...

أنا الغامضُ
أرصُدُ تحوّلات الكائنِ
من اللّامُسَمَّى إلى اللّامسمَّـــى.

(12)
زنبقـــةٌ ســـوداءَ
وهجُ نيزكٍ في سماء منهاتن
سَتْثُورُ تِسّالِيـــا
نجمـــةُ البحـــرِ / أسْتِيـــرِيَاءَ
كتلةُ ضـــوءٍ يتكـــسّرْ
(الحياةُ أن تكتبَ ثـــم
تمحُوَ آثارَ الجريمـــة)

بحـارُ الشمالْ
لماذا زَهْرُ الميموزا أصْفَرْ ؟
حبيبتي تَنامُ فوقَ غيمة
وجهٌ في مرايا العـدَدِ
مقابرُ القيروان في الظهيرةِ صفراءُ صفراء
(الحياةُ أن تجازفَ بما تملـكْ
لأجلِ أن تموتَ ميتةَ الغربـاء
الجـميلـــــة)

حشخاشُ المُتَوَسِّطِ / دَمُ أدونيس
مساءٌ رطبٌ كإسَاءةٍ
هَـانْ شَـانْ / الحبلُ المَيِّتُ
هذا الحريقُ في عينيكِ أم في يدي ؟
قَـدَرُ رَامْبُو أن يُبْعَثَ كلَّ يومٍ في كراريسِ الأطفال
(الحياة ألّا تكونَ :
أن تُضَيِّـعَ حلاَيَـاكَ
حتى آخرِ قطـرةٍ منـكَ)
نواقيسُ الكنائسِ الداكنة
مَايَا / عنكبـوتُ البحـرِ
أنا الحاضـرُ الغائـبُ في اللونِ وفي الصدى
أنا المُغْلَقُ المريـبْ
رؤيـةُ روما عند الغـروبْ
(الطينُ بدايـةٌ خاطئـة
لعَـالَـمٍ مُـفَكَّـكٍ
كهـذا القَصيـدْ).

تونس ــ 1981